


# المؤتمر الدولي السادس للدراسات الإباضية
# «تاريخ الإباضية: عهد النهضة»
# 1 ـ 3 يونيو 2015م

■ محمد بن سعيد الحجري
أولغا أندريانوفا

في مدينة سان بطرسبرغ وفي معهد المخطوطات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية انعقد المؤتمر السادس لدراسات الفكر الإباضي، حيث احتضنته صالة مزخرفة هي قاعة الاطلاع لمكتبة معهد المخطوطات في قصر ميخائيل الجديد التاريخي (المبني في 1857 ـ 1862م) على كورنيش القصر، هذا المعهد العريق الذي يضمن بين جنباته أكثر من مائة ألف مخطوط ضمنها 10700 مخطوط عربي، ومن بينها مخطوطات لمصاحف قرآنية تعود إلى القرن الثالث الهجري، انعقد هذا المؤتمر بمشاركة واسعة لباحثين من كل أنحاء العالم متخصصين أو مهتمين بالدراسات الإباضية؛ حيث تحوّل هذا المؤتمر الدولي إلى تقليد علمي سنوي يجمع الباحثين لتدارس الأفكار والآراء الإباضية باعتبارها إحدى مدارس الإسلام الفقهية والعقدية، التي كانت لها على امتداد تاريخها تجربتها الممتدة في إدارة المجتمع وتكوين الهوية الوطنية والمرجعية القيمية لعدد من البلدان والأقاليم في العالمين العربي والإسلامي.

■ كاتب وباحث من سلطنة عُمان.

إن الهدف من اســتمرار هذا المؤتمر يتصل بحق الناس كل الناس في أن يطلعوا علــى هذه التجربة في مســتواها النظري المؤصل فــي مؤلفات العلماء والمتكلمين الإباضية، أو في مستواها العملي وتطبيقاتها التاريخية عبر العصور وكيف تفاعلــت معها المجتمعات، بــل كيف قادت الأفكار المجتمعات وأسســت لقيامها وحافظت على اســتقلالها الثقافي والسياســي؟، هــذا الحق بالمعرفة وبعرض ما لدى الإباضية من فكر وتراث واسع يعبّر عن ثقة كبيرة بأن وضع هذا التــراث والفكر بين يــدي الباحثين وتهيئــة الظروف لبحثه ودراســته هو حق للإنســانية بالعلم والمعرفة، وحق لهذا التراث بالفحــص والتمحيص باعتباره جهداً إنسانياً في فهم الدين والنصوص الإسلامية المقدسة وتطبيقها، وإيماناً بأن الفكر لن يأخذ مســاره نحو التطور بتخبئته أو رفض دراسته بل بمزيد من عرضه ونشــره، إذ لا تقوم الحجة أو تتضح الحقائق أو تتبدد الصور المغلوطة إلا بمزيد من الدرس والوصول المباشــر إلى المصادر والنصوص المعبرة عن ذلك الفكر، كما أن التعميمات التي تفرضها الصورة الإعلامية اليوم حول الفهم المشــوّه للدين وعن مدى الانتهاك لكرامة الإنســان ولحرمته التي تسببت بها بعض الأفــكار والتيــارات التــي أنتجت نموذجــاً متوحشــاً وأقصائيــاً ومدمراً للمجتمعات، هذه الصورة التعميمية لا بد أن تقف في مقابلها تلك الصور التي تحركت بإيجابية وبتسامح وبقبول للآخر المختلف، والتي قدّمت تجربة إنسانية مكتملة ومتطورة، تتجه إلى مزيــد من التصويب والتصحيح دائماً بفعل التجربة والاجتهاد والانفتاح، ومن هذا المنطلق، منطلق حق الجميع في أن يرى الصورة واضحة مكتملة وعلى حقيقتها، يتواصل انعقاد هذا المؤتمر سنة بعد سنة، ليصل إلى محطته السادسة التي جعلت محورها موضوع «النهضة» في الفكر الإباضي.

وفي الجلســة الافتتاحيــة للمؤتمر التــي انعقــدت بحضور معالي الشــيخ عبد الله بن محمد السالمي وزير الأوقاف والشؤون الدينية وسعادة سفير سلطنة عُمان في موسكو، تحدّثت إيرينا بوبوڤا (Irina Popova) مديرة معهد المخطوطات الشــرقية مرحِّبةً بالحضور ومعربةً عن سرورها باســتضافة الندوة السادسة في الدراسات الإباضية والعُمانية مقدمةً نبذةً عن تاريخ معهد المخطوطات الشرقية باعتباره أقدم مؤسســة علمية للدراسات الشرقية في روســيا، مستعرضة تاريخ

المعهد منذ تأسيســـه عام 1818م، وتحدّث عن كنوز المخطوطات الهائلة التي يضمها المعهد، والتي تعد من أهم خزائن المخطوطات الشرقية في العالم (بما فيها بعض المخطوطـــات العُمانية المهمة كمخطوطة إرشـــادات الملاحة الثلاث للملاح العُماني الشهير أحمد بن ماجد) مع حوالى مليون كتاب، كما استعرضت جهود أهم الباحثين المعاصرين الذين كانوا من أعضائه، ومنوهة بالدعم السامي من لدن جلالة السلطان لعمليات ترميم خزانة المخطوطات سنة 2009م.

كما تحدّث البروفيسور ڤلاديمير مياسنيكوف، (Vladimir S. Myasnikov)، مستشـــار أكاديمية العلوم الروســـية في كلمته المرحبة للنـــدوة عن مكونات الحضـــارة الروســـية المختلطـــة، ومنوهـــاً بكون الإسلام جزءًا مهماً في الحضارة الروسية بجانب البوذيـــة والدين اليهودي، مما ســـمح لكي تكون روســـيا عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي، كما أشار أهمية الإباضية في المغرب وعُمان، وانتشار الإباضية كمذهب متسامح في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي، وأشاد بمسقط وما يسودها من مناخ التســـامح الذي يمكن أن يجـــذب كثيراً من الباحثين من كافة أطراف العالم.

**تحدث المطران أمبروسيوس عن قرب القيم الإسلامية والأرثوذكسية وأن هذه القرابة تكون في أساس الحوار والعلاقات السلمية الموجودة بين الأرثوذكسية والإسلام في روسيا.**

المطران أمبروســـيوس (Ambrosius) رئيس أساقفة ســـان بطرسبرغ ورئيس الأكاديمية الأرثوذكسية اللاهوتية في سان بطرسبرغ تحدّث من ناحيته عن قرب القيم الإسلامية والأرثوذكسية وأن هذه القرابة تكون أساس الحوار والعلاقات الســـلمية الموجودة بين الأرثوذكسية والإسلام في روسيا، ليكون نموذج للتعاون الأخوي، ليشجع هذا التعايش السلمي والحوار في روســـيا حواراً بين الديانات على المستوى الدولي، داعياً رجال الدين أن يوحدوا جهدهم لمقاومة التحديات المعاصرة كالعلمانية المحاربة التي تؤثر في إحساس الناس المتدينين، داعياً كل المؤمنين من كل الديانات إلى الحفاظ على دين أجدادهم وإلى الحياة طبق القيـــم التقليدية. أما تســـيرين دارمايـــف (Tsyren Darmayev) صاحب الدرجة الأكاديمية البوذية وعضو المركز الجامعي البوذي (داتسان) في سان بطرسبرغ،

فقد شـدّد على أهمية الدراسـات الإباضيـة والبحوث في مجـال تاريخ تعامل الحضارات المختلفة في عصرنا المتميز بالعولمة والتطرّف لتجنّب الأخطاء التي نشـهدها اليوم وفي المسـتقبل؛ وقد خُتمت الجلسـة الافتتاحية بكلمة الدكتور عبد الرحمٰن السـالمي من وزارة الأوقاف والشـؤون الدينية بالسلطنة ورئيس تحرير مجلة التفاهم، الذي بدأ كلمته مشيراً إلى أقدم المعلومات الروسية حول عُمان والخليج التي سجلت ضمن ملفات أرشيف البحرية الروسية وهذه الوثائق تعود إلى نهاية القرن التاسـع عشر وبداية القرن العشـرين، منوهاً بدراسات تيودور شوموفسـكي (Theodor Shumovskiy, 1913-2012) حـول الجغرافيا وعلم البحار العُماني وخاصة بحوثه في مؤلفات الملاحَين العُمانيَّين سليمان المهري وأحمد بن ماجد، كما تحدّث عن جهود المستشـرقين المسـتعربين الروس من القرن التاسـع عشـر والنصف الأول من القرن العشـرين، ابتداءً بـ فلاديمير غيرغاس (Vladimir Girgas, 1835-1887)، ووصولاً إلى البروفيسور كراتشكوفسكي الذي كان مشهوراً بين الطلبة العرب ابتداءً من الستينات من القرن العشرين، وانتهاءً بـ سيرغي فرانتسوزوف (Serge Frantsouzoff) الذي يواصل عملهم بأبحاثه في تاريخ اليمن وفي تاريخ الإباضية في اليمن، كما رأى السالمي أن الدراسات العربية في روسيا تعيش حقبة ازدهار وأن هذا المجال يجذب خيرة الطلبة، وأن سلطنة عُمان سعدت باستضافة عدد من الأسـاتذة والطلبة الروس خلال بعض السـنوات الماضية، معبراً عن تمنياته بأن تمكن هذه الندوة من إلقاء النظر مجدداً إلى الماضي وإلى المستقبل.

أما المحاضرة الرئيسية فكانت للدكتور جون ولكنسن (John C. Wilkinson) رائد الدراسـات الإباضية والعُمانية في أوروبا، الذي قـرأ ورقته نيابة عنه آدم غايزر (Adam Gaiser)، حيث اسـتعرض ولكنسـن في ورقته بعنـوان: «النهضة الإباضيـة من وجهة النظـر التاريخية» تاريـخ الإمامة الإباضية فـي عُمان من «النهضـة الأولى» إلى عصر آل بو سـعيد، شـارحاً بعض المراحـل من تاريخ الإباضية مثل الخلاف بين الرسـتاقية والنزوانية، وأهمية كتاب الضياء لسـلمة العوتبي في التشـكيل النهائـي للإباضية كمذهب، ومحاولات عقـد الإمامة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، والدور الذي لعبه خميس بن سعيد الشقصي

بتمكّنه من عقد الإمامة لناصر بن مرشد اليعربي في سنة 1034هـ/1624م، مبيناً التأثير المهم لكتبه وخاصة «منهج الطالبين» على زعماء النهضة بين المغرب وعُمان في القرنين الـ 12 والـ13هـ/ الـ 18 والـ 19 الميلاديين، متوقفاً عند آراء الشقصي وابن عبيدان في المؤلفات القديمة مثل بيان الشرع والمصنف والجوامع التسعة وكتاب الضياء، وأهمية العقل لفهم الشريعة، والاتجاه العملي الذي سلكه الفقه الإباضي ـ في نموذج ابن عبيدان ـ مع التغيرات الاقتصادية في داخل عُمان، وفي مجال التجارة الخارجية في عصر اليعاربة الذي كان أيضاً فترة التعلم والتعليم المكثف، حيث تم حفظ التراث الإباضي في نسخه المخطوطة في هذه الفترة، مبيناً أن اهتمامه الأساسي كان في دراسة قدرة الإباضية على تكييف نفسها لتحديات العصور المختلفة وهذه القدرة على التكييف من الممكن أن نراها في فترة اليعاربة وفي فترة آل بو سعيد، مستعرضاً عوامل التأثير على النهضة في عصر آل بوسعيد، منهياً ورقته بفكرة مهمة مدارها أن الإباضية ليس مذهباً تجريدياً، ولكنه مذهب اضطر لأن يتطور ببراغماتية، وطوال تاريخه كان في إمكان الإباضية تطوير المرونة ومعها التسامح في اتجاه الآخر سواءً كان مسلماً أم لا، التسامح الذي كانت تصاحبه الأخلاق الصارمة والإحساس بالعدالة، خاتماً بسؤال خلاصته هل هذه المبادئ الإباضية التي لم تتغير خلال القرون مناسبة لتحديات العالم المعاصر الذي يتجه إلى التعقيد من يوم إلى آخر؟

**استعرض ولكنسن في ورقته بعنوان: «النهضة الإباضية من وجهة النظر التاريخية» تاريخ الإمامة الإباضية في عُمان من «النهضة الأولى» إلى عصر آل بو سعيد، شارحاً بعض المراحل من تاريخ الإباضية مثل الخلاف بين الرستاقية والنزوانية.**

## الجلسة الأولى:

في الجلسة الأولى تحدّث ثلاثة محاضرين قدّموا رؤاهم حول مفهوم النهضة، حيث قدّم كريستيان لانغه (Christian Lange) من جامعة أوترخت، هولندا ورقة بعنوان: «هل كانت هناك النهضة العلمية في الجزيرة العربية في القرن الـ 12هـ/الـ18م؟ إعادة تقييم» حيث تحدّث عن الحركة العلمية في الجزيرة العربية وخاصة في الحرمين الشريفين، وفي المناطق العربية

تحت الحكم العثماني محاولاً أن يضع النهضة الإباضية في سياق أعرض (broader context)، مبتدئاً بالمؤلفات التي درست مرحلة الانحطاط والركود. كما قدّم فحصاً للأعمال التي نُشرت منذ ذلك الوقت حول الحركة العلمية في العالم العربي وخاصة في الجزيرة العربية (تجديد علوم الحديث وتأليف القواميس في اللغة العربية) حيث قسمها إلى 4 مجموعات بحسب النظرية التي اتبعها مؤلفوها: نظرية الأصول الواحدة، ونظرية عصر التنوير التي حصلت في العالم الإسلامي مستقلةً من عصر الاستنارة في أوروبا، ونظرية التجديد المتنوّع الأشكال، ونظرية الازدهار المتواصل، مشيراً أن طريقتي التحليل التاريخي المختلفتين لمسألة النهضة في الجزيرة العربية من وجهة نظر التاريخ الشامل تظهر فترات الازدهار والتدهور، والطريقة الثانية من وجهة نظر تاريخ الاماكن والأشخاص تعطي صورة متنوعة ودقيقة وخالية من التعميمات.

أما البروفسور رضوان السيد، الجامعة اللبنانية، بيروت، فقدّم ورقة عنوانها: «النهضة العُمانية: تجديد الفِقه والإصلاح الديني»، قارن فيها بين النهضة الإباضية وحركة الإصلاح في البلدان الإسلامية الأخرى، مبيناً أن الإصلاح حارب التقليد، ولكن السلفية ومن تبع حركة الصحوة الإسلامية حلت بدلاً من التقليد، أما العلماء الإباضيون فقد اشتركوا في النهضة التي يبدو أن أبا نبهان الخروصي أول من استخدمها. أما النهضة الإباضية في المرحلة الثانية (1850 ـ 1930م) فيرى السيد أن الإباضية فيها حاولت التقرب من المذاهب الأخرى ولكن بقيت بعيدةً عن التنكر للتقليد العقدي والفقهي، إذ إن النهضويين الآخرين تركوا التقليد، والإباضيون بنوا نهضتهم على أساس التقليد وفتحه للتجديد، فالشيخ محمد بن يوسف إطفيش ونور الدين السالمي كتبا أعمالهما الفقهية ومارسا الاجتهاد على الطريقة التقليدية، والسالمي مثلاً كان يقبل الإجماع والقياس خلافاً للسلفية وكان يقبل آراء المذاهب الأخرى في ثلاثة أرباع الحالات، مؤكداً أنه وإن اختلفت النتائج فإن ما يجمع النهضة الإباضية مع الحركات الإصلاحية في المناطق الأخرى هي محاربة القوى الاستعمارية، فالمجتمع الإباضي مع مرور الزمان كان يميل للحفاظ على نفسه وعلى أرضه وفكرة الإمامة بقيت مرجعاً ثابتاً، فالمراوحة كانت بين الماضي والحاضر مع التكييف لظروف الحاضر.

في الورقة الثالثة تحدّث آية الله حسين مدرّسي، من جامعة برنستون، عن «التجديد الإسلامي والرؤية الإباضية ـ الشيعية»، حيث بيّن أن حركة الإصلاح التي بدأها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده كانت تدعو إلى الرجوع إلى القرآن وأشار إلى أن إعطاء الأولوية للقرآن هي صفة متميزة ومشتركة بين كلًّا من الإباضية والشيعة منذ البداية، أما الأحاديث فقد قبل الاثنان المتواتر فقط، ومع هذا الشرط فإن كلاً من الإباضية والشيعة ترددوا أن يعطوه الأولية فوق القرآن، وفي حالة الخلاف بين خبر الواحد والقرآن تكون الأولوية للقرآن، كما نبه إلى أن المؤلفين من السُنة لم يدركوا الفرق بين الإباضية أهل العلم والسلم والخوارج المتطرفين، وهو ما حدث أيضاً في نظرتهم لفروع الشيعة، وفي نهاية الورقة شدّد مدرّسي على أن الأولوية للقرآن كانت داخل الحضارة الإباضية القديمة وأن هناك تشابهاً أكثر مما يمكننا أن نتصوره بين الإباضية والشيعة، وأن هذا التشابه يمكن أن نشرحه عن طريق نفوذ الإباضية على الشيعة مثلاً من خلال فكر ابن أبي عقيل العُماني (ق3هـ/9م)، كما أعطى مثالاً على توحد القوى بين الشيعة والإباضية في عُمان لمقاومة البويهيين.

**أما البروفسور رضوان السيد، فقدّم ورقة عنوانها «النهضة العُمانية: تجديد الفِقه والإصلاح الديني» قارن فيها بين النهضة الإباضية وحركة الإصلاح في البلدان الإسلامية الأخرى.**

في الورقة الرابعة تحدّث جواو تيليسي ايه كونيا (João Telese Et Cunha) من جامعة لشبونة الكاثوليكية، حول «النفوذ البرتغالي في منطقة المحيط الهندي في فترة ما بين 1500م و1730م»، ذاكراً أنه في لحظة مجيء فاسكو دا غاما إلى منطقة المحيط الهندي كانت المنطقة تعيش الموجة الثانية من انتشار الإسلام، خاصة في جنوب شرقي آسيا، وقد حاول البرتغاليون اعتراض تقدم الإسلام ولكنهم لم ينجحوا، لأن الأسلمة كانت طبيعية وكانت تعتمد على العلاقات التجارية المستمرة بين الجزيرة العربية والهند وجنوب شرقي آسيا؛ مؤكداً أن الوجود البرتغالي لم يترك أي أثر مهم في هذه المناطق، ومن المحتمل أن يكون ذلك بسبب قلة عدد البرتغاليين، وسيادة أولوية

المصالح المحلية في العلاقات بين البرتغاليين والحكام المسلمين في المنطقة، وفي مجال الثقافة والعلوم وُجدت بعض الاستثناءات النادرة مثل نفوذ الفنون الأوروبية عند فناني البلاط المغولي في عصر شاه أكبر، أو نفوذ الطب التقليدي الإسلامي على الآراء الطبية للطبيب البرتغالي غارسيا دي أورتا (Garcia de Orta).

وبعد فشل محاولات المماليك والعثمانيين في طرد البرتغاليين من المحيط الهندي، تغير الوضع بظهور عُمان كقوة بحرية بعد سنة 1650م، فقد حدث هذا الصعود على حساب البرتغاليين، فطال الصراع في البحر بين 1650م و1730م، فمحاربة البرتغاليين أصبحت واحداً من دوافع الوحدة العُمانية وبناء الإمبراطورية التجارية البحرية في فترة الإمامة اليعربية، وابتداءً من تلك الفترة اقتصرت العلاقات بين البرتغال وعُمان على الاتصالات الحضارية والتجارية بين مجتمعات الجزيرة العربية وزنجبار والمجتمع البرتغالي في موزمبيق.

## الجلسة الثانية: «حركة الإصلاح في العصر الحديث:

قدّم سيرغي فرانتسوزوف (Serge Frantsouzoff)، من معهد المخطوطات الشرقية، بسان بطرسبرغ، ورقة تحت عنوان: «التراث الإباضي في تاريخ حضرموت في العصر الوسيط في سياق الصراع الإيديولوجي» حيث شرح فرانتسوزوف أصول الصراع الإيديولوجي في اليمن الذي تعود إلى سنة 1905م، عندما حصل الخلاف حول الزواج من غير الكفؤ الذي رأى السيد عمر بن سالم العطاس عدم شرعيته وعارضه في ذلك الإصلاحي محمد رشيد رضا، ما أدى إلى ظهور الحزبين: العلوي الداعم للسيد عمر العطاس، والإرشادي وهم أتباع النهضة الذين أسسوا جمعية الإصلاح والإرشاد، وأصبح هذا الصراع شاملاً وانتشر إلى المجالات الأخرى من الحياة الاجتماعية والعلمية، وقدّم فرانتسوزوف طرفاً واحداً فقط من هذا الصراع وخاصة آراء العلويين والإرشاديين تجاه دور الإباضية في تاريخ حضرموت الوسيط، فقد حاول العلويون أن يقللوا من دور الإباضية في حضرموت، وصولاً إلى إنكار وجودهم والتشكيك في وجود بعض أعلامهم، عكس الإرشاديين الذين أعلنوا اعتمادية المصادر المحلية مثل «صفة

جزيرة العرب» للهمداني الذي يذكر الإمام الإباضي إبراهيم بن قيس صاحب ديوان «السيف النقاد»، وقد درس فرانتسوزوف ذكر هذا الإمام في المصادر العُمانية مثل «تحفة الأعيان» مشيراً إلى أن المبادئ الإباضية التي مثلت الروح الديموقراطية كانت مكروهة في عيون العلويين بينما كانت مناسبة جداً للإرشاديين ولنهضتهم في حضرموت في القرن العشرين.

وفي الورقة الثانية قدّم ميخائيل روديونوف (Mikhail Rodionov)، من أكاديمية العلوم الروسية ورقة تحت عنوان: «الإباضية في الذاكرة الثقافية في حضرموت المعاصرة»، حيث نبّه على قدرة الذاكرة الثقافية على إحياء أبطال التأريخ وإنكار الأبطال الآخرين، وفي حضرموت تعكس الذاكرة الثقافية البنى الاجتماعية وتقسيم المجتمع التقليدي، ووفق مقولات القبائل فإن عدة قبائل في حضرموت دعموا الإباضيين في مكافحتهم ضد الأمويين والعباسيين، وخاصة في وادي دوعن حيث كانت خريبة عاصمة الإباضية في حضرموت، كما تحفظ الذاكرة الجماعية ذكرى القائد العباسي الذي كان يقتل الإباضيين وغير الإباضيين، كما يذكر أيضاً هو انقسام القبائل الحضرمية إلى القسمين: القبائل التي كانت تدعم السيد أحمد بن عيسى الذي جاء إلى حضرموت في بداية القرن الـ 4هـ/ الـ 10م، والقبائل التي كانت تدعم الإمام الإباضي المحلي أبا إسحاق إبراهيم بن قيس والصراع بين الحزبين، كما تذكر أيضاً محاربة الإباضيين ضد الإسماعيليين في القرن الـ 11م، وقد جمع المؤرخ الحضرمي عبد الرحمٰن جعفر بن عقيل معلومات عن الإباضية في اليمن في كتابه «من تاريخ إباضية عُمان وحضرموت»، كما يجدر بالذكر أن الذاكرة الشفوية تثريها الكتب والوثائق والمصادر الكتابية الأخرى؛ ويرى روديونوف أنه من الممكن أن نجد آثار الإباضية في حضرموت في المجالات المختلفة ولو في علم «النحالة»، حيث نجد في مكتبة تريم مخطوط «ترقيق الأسل في تصفيق العسل» للمؤلف الإباضي (حسب رأيه) أبي عبد الله محمد الفيروزآبادي وهو منسوخ في القرن الـ 11هـ/17م.

**يرى روديونوف أنه من الممكن أن نجد آثار الإباضية في حضرموت في المجالات المختلفة ولو في علم النَّحْل، حيث نجد في مكتبة تريم مخطوط «ترقيق الأسل في تصفيق العسل».**

وفي الجزء الأخير من الورقة تكلم روديونوف عن التغيرات الحالية في علم التاريخ في اليمن، حيث تمرّ الذاكرة الثقافية المحلية بفترة تجديد وإحياء منذ بداية القرن الـ21، إذ نرى الازدهار في مجال النشر وإعادة النشر، كما نجد أن التاريخ القبلي المحلي المكتوب على يد الأشخاص من نفس القبيلة أصبح نوعاً منتشراً من المؤلفات، ومنذ الوحدة اليمنية في التسعينات نرى ما نسمي بترسيخ النظام القبلي في اليمن، وأصبحت الاهتمامات القبلية أكثر تكثيفاً بسبب الأزمة السياسية الحالية، وفي هذه الظروف يصبح التراث المحلي الإباضي مهمّاً أكثر وأكثر.

وفي الورقة الثالثة قدّم صالح البوسعيدي، من جامعة السلطان قابوس، ورقة بعنوان: «تطور الفقه الإباضي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر»، حيث يرى أنه في نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر حدث تغير نوعي في كتابات العقيدة، فهذه المرحلة تميزت ببعض الشخصيات مثل الشيخ أبي نبهان الخروصي، والمحقق سعيد بن خلفان الخليلي، والشيخ ناصر بن جاعد الخروصي، والشيخ أبي مُسلم الرواحي، وهو يرى أن سمات هذا التطور تكمن في الجوانب التالية: تغير أسلوب الكتابة (حيث أصبح أكثر بلاغة، وأصبح الشعر أكثر استخداماً بجانب أسلوب الأسئلة والجوابات)؛ والنزعة نحو العقلانية وخاصة في مسائل مثل رؤية اللّه، والميل باتجاه التصوف، فقبل جاعد الخروصي لا نجد كتباً أو مصطلحات صوفية في الكتابات العُمانية، وهو يرى أن التصوف الإباضي متميز جداً ويختص باستخدام ما لا يتعارض العقيدة فقط، فقد أخذوا علم السلوك ولكن أنكروا وحدة الوجود والحلول مثلاً.

## الجلسة الثالثة: «دراسات أصول النهضة الإباضية»:

في المداخلة الأولى قدّمت أنجيليكي زياكا (Angeliki Ziaka) من جامعة أرسطو، سالونيك، باليونان، ورقة بعنوان: «إعادة تعريف الهوية الإباضية عن طريق الخطاب الديني في العصر الحديث»، حيث بدأت بملاحظات عامة عن النهضة التي ظهرت كحركة لحرية الكلام ومواجهة الاستعمار، وهادفة إلى إحياء روح المجتمعات الإسلامية، وإدخال الحداثة في المجتمع والفرز بين

التفكير الديني والتفكير العلماني، ومع ذلك ظهرت فكرة الأمة والحكومة الدستورية، كما ظهر «الإسلام السياسي» وفكرة الوحدة العربية، أما النهضة الإباضية فكانت لها غرضان متناقضان: أن تدخل الإباضية إلى حركة الوحدة العربية، وفي نفس الوقت أن تحفظ الهوية الإباضية، ثم حللت زياكا مراحل النهضة في عُمان من عقد إمامة ناصر بن مرشد في الـ ق 17م إلى جهود الشيخ ناصر بن أبي نبهان، ثم العلّامة السالمي والشيخ إطفيش وسليمان الباروني بعد ذلك؛ وأشارت إلى أن العلم والتعليم كانا قاعدتين للنهضة الإباضية وأن الاجتهاد (الغير المنقطع عند الإباضية) وإعادة الرؤية في التقليد ساهما في تجديد العقيدة الإباضية، مشيرة إلى المبدأين الرئيسيين للإباضيين: العقلانية، والتقوى، وكون كل مسلم مسؤول عن أعماله؛ وقد أنهت ورقتها بتحليل الوضع في عُمان المعاصرة، مشرة إلى أن أبطال النهضة العُمانية المعاصرة هم أحفاد زعماء النهضة السابقين. وقد تمت إعادة تشكيل البلاد وإعادة بناء نظام التعليم، كما أن آلافاً من النصوص الإباضية تم تجميعها ونشرها على يد وزارة التراث والثقافة، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية، والمكتبات الخاصة، فظهر عدد كبير من البحوث في التراث الإباضي وفي الفقه والعقيدة.

**حللت د. أنجيليكي زياكا مراحل النهضة في عُمان من عقد إمامة ناصر بن مرشد في القرن السابع عشر إلى جهود الشيخ ناصر بن أبي نبهان، ثم العلّامة السالمي والشيخ إطفيش وسليمان الباروني.**

وهي ترى حدوث نقلة من الإباضية إلى الإباضية المجددة (neo-Ibadism) إلى ما بعد الإباضية (meta-Ibadism)، فقد تم إثبات الهوية الإباضية بإكمالها وبعلاقتها مع الهوية الوطنية العُمانية التي بنيت آخذة بعين اعتبار المذاهب الأخرى والجنسيات المختلفة الموجودة في عُمان والتعدد القبلي العُماني، حيث نجد في عُمان الإسلام الفعال الملائم للحياة مع القدرة المستقرة على فهم الشعوب والأديان.

في المداخلة الثانية، قدّمت ڤاليري هوفمان (Valerie Hoffman)، من جامعة إيلينوي، في الولايات المتحدة، ورقة بعنوان: «الإباضيون في زنجبار والنهضة»،

حيث بحثت الحياة العلمية في زنجبار في القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين، من خلال مؤلفات العلماء كـ: ناصر بن أبي نبهان الخروصي ومحمد وعلي المنذريين، وأبي مسلم البهلاني، وعن طريق دراسة نتائج عمل المطبعة السلطانية منذ 1880م، والتبادل العلمي مع مصر وميزاب وعُمان.

مؤكدة اتصاف النهضة الإباضية في شرق أفريقيا بميزات مهمة منها: العلاقة الثابتة والمستمرة بعُمان من ناحية التبادل العلمي والتداخل المتبادل في الأوضاع السياسية؛ والتعامل المكثف بين الإباضية والسُنّة، الذين كان عددهم أكبر في زنجبار؛ والعلماء الإباضية في زنجبار كانوا أكثر تأثراً بالاستعمار كما كانت علاقتهم أكبر مع الأحداث والنزعات في الأطراف الأخرى من العالم العربي الإسلامي، كحركة الوحدة الإسلامية والصراع ضد الاستعمار مثلاً، كما كان على العلماء الإباضية بحواراتهم مع السُنّة والمسيحية أن يثبتوا الهوية الإباضية وأن يدعموا النظام السياسي الإباضي.

أما الورقة الثالثة فقدّمتها إيرسيليا فرانتشيسكا (Ersilia Francesca) من جامعة نابولي، بإيطاليا، وكانت بعنوان: «الاجتهاد وحركة الإصلاح الإباضية في شمال أفريقيا: إعادة شرح كتاب النيل على يد الشيخ محمد إطفيش»، حيث درست مساهمة الشيخ محمد بن يوسف إطفيش (ت 1332هـ/1914م) في تطوير الفقه الإسلامي عن طريق تحليل شرحه لكتاب النيل وشفاء العليل لعبد العزيز الثميني (ت 1808م)، مبينة أسلوب إطفيش ومقاربته في الشرح، واستخدامه لأسلوب المقارنة بين الإباضية والشيعة والسُنّة مما جعل شرح كتاب النيل من المؤلفات الأساسية لدراسة الفقه الإسلامي، منبهة إلى أن باب الاجتهاد لم يغلق أبداً عند الإباضية، محللة آراء إطفيش في الاجهاد والتقليد، وضرورة ممارسته على قواعد الأصول، لتمكين التطور المستمر للعلم، موضحة رأي إطفيش في صفات المجتهد، والفرق بين المجتهد المطلق ومجتهد المذهب، واستخدامه بكثافة للآيات التي تدعو لاستخدام العقل والتفكير، ورأيه بأن اختلاف الآراء جزء من التراث الإسلامي، من دون أن يشكل خطورة على الإسلام، وأن العلم والدين يصاحب بعضهما الآخر.

مبينة أن مساهمة إطفيش في شرحه كانت في إحياء العقلانية كمبدأ

تاريخي، مما سمح بالنهضة الثقافية الإباضية وتجديد المذهب وإثبات الهوية العلمية الإباضية في العالم الإسلامي.

## الجلسة الرابعة: دراسات أصول النهضة الإباضية: متابعة

وقد تحدّث في المداخلة الأولى قادر غومبياز (Kadir Gombeyaz) من جامعة أولوداغ، بورصة، بتركيا، في ورقة بعنوان: «العالم الإباضي الشهير من جربة: أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي (ت967هـ/1560م)»، حيث قدّم ترجمة الشيخ أبي سليمان التلاتي الذي سافر كثيراً لطلب العلم وأصبح عالما بارزاً وشيخ العزابة في جربة، وهو مشهور بكتابه: «شرح عقيدة التوحيد»، وكتاب عقيدة التوحيد نفسه هو لمؤلف مجهول كتب باللغة البربرية وتُرجم إلى العربية على يد أبي حفص عمرو بن جميع الجربي، وقد شرح الباحث أهمية كتاب التلاتي في فهم تطور اللاهوت الإباضي في بلاد المغرب.

**تحدّث في المداخلة الأولى قادر غومبياز في ورقة بعنوان: «العالم الإباضي الشهير من جربة: أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي»، حيث قدّم ترجمة الشيخ أبي سليمان التلاتي الذي سافر كثيراً لطلب العلم وأصبح عالما بارزاً وشيخ العزابة في جربة.**

أما المداخلة الثانية فقدّمها هارون إيلديز (Harun Yildiz)، من جامعة سامسون، بتركيا، وكانت بعنوان: «الإباضية في دراسات علي يحيى معمر»، حيث قسّم ورقته إلى قسمين، فتكلم أولاً عن حياة علي يحيى معمر (1919 - 1980م)، ومؤلفاته؛ وتكلم تالياً عن آراء علي يحيى معمر في الإباضية، الذي كان يشدد على التكوين والتطور التاريخي للإباضية في بلاد المغرب، فدرس في كتبه تقاليد الإباضية ومؤسساتهم مثل نظام العزابة، فقدم الإباضية كمذهب معتدل في الإسلام، كما درس تاريخ الدولة الرستمية والسياسة الاجتماعية لهم وتطور الزراعة والتجارة في هذه الفترة، كما درس جماعات الإباضية في شمال أفريقيا مثل النكارية والحسينية.. إلخ، كما بحث في الاتهامات الموجهة إلى الإباضية، وخلص هارون إيلديز في ورقته إلى أهمية كتب معمّر في نشر المعرفة الصحيحة عن الإباضية وجذب الطلبة والباحثين إلى هذا المجال.

أما الورقة الثالثة فألقاها فرحات الجعبيري، من جامعة تونس، وكانت بعنوان: «المصلح الكبير الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر (1313 ـ 1401هـ/ 1899 ـ 1981م) كما عرفته»، مبيّناً وجود تياران بين إباضية ميزاب: التيار الذي كان يتمسك بالتاريخ، والثاني الذي كان يريد الإصلاح، والشيخ بيوض كان ضمن هذا التيار الإصلاحي، مقدماً رؤيته الإنسانية لشخصية الشيخ بيوض، وعلاقته الشخصية والعلمية به، وذكرياته في لقاءاته معه، واصفاً أيضاً الظروف الاقتصادية والاجتماعية في جربة وميزاب وليبيا.

## الجلسة الخامسة: «دراسات أصول النهضة الإباضية»:

الورقة الأولى التي قدّمها إسماعيل البيرق (Ismail Albayrak)، من جامعة ملبورن، أستراليا، كانت عن «التفسير الإباضي، النظرة التاريخية»، حيث قدّم نبذة عامة عن التفسير الإباضي، وعن التصور الغير الإباضي للتفسير الإباضي، وآراء الإباضيين أنفسهم في التفسير الإباضي، محاولاً طرح بعض الأسئلة من قبيل: هل هناك تفسير إباضي متميز؟ وما الفرق بين التفسير الإباضي وتفسير المذاهب الأخرى؟ مؤكداً أن الإباضية أعطوا الأولوية للفقه والعقيدة وليس للتفسير، فاستخدموا تفاسير علماء المذاهب الأخرى، بينما كان تقليد تفسير القرآن شفوياً منتشر جداً، كما تحدّث عن تطور التفسير عند الإباضية في العصر الحديث، وهو يلاحظ أن العلماء من غير الإباضية اتهموا التفسير الإباضي بكونه سطحياً، ففي كتابه «التفسير والمفسرون» لا يحلل الشيخ محمد الذهبي التفسير الإباضي ولكنه يتكلم عن الفرق بين العقيدة الإباضية والمذاهب الأخرى؛ ونظراً إلى أن كثيراً من المؤلفات الإباضية في التفسير فقدت، فإنه يمكن بناء تاريخ التفسير الإباضي باستخدام كل أنواع المصادر، حيث يعتبر الإباضيون جابر بن زيد المفسر الأول وإن لم توجد عندنا له نصوص، وهو يرى أن كل المفسرين الإباضية فقهاء، وأنه في الفترة الكلاسيكية كان التفسير الإباضي اختصاراً للتفسير السني مع الإضافات الخاصة المتعلقة بالعقيدة الإباضية، ومن نماذج تفاسير الإباضية تفسير هود ابن محكم الهواري (ق الـ3هـ)، والتفسير الميسر لسعيد بن أحمد الكندي (ت1207هـ/1792م)،

والتطور الظاهر في التفسير تمَّ في العصر الحديث وخاصة مع أعمال الشيخ محمد بن يوسف إطفيش، حيث نلاحظ تعرض الإباضية لنفوذ المسار الحديث للتفسير الذي يكون أكثر عقلانية والاهتمام فيه بالعجائب أقل، مع اهتمام الإباضية بإعجاز ولغة القرآن.

أما الورقة الثانية فقدّمها وليد صالح (من جامعة تورنتو، بكندا، وكانت بعنوان: «نماذج من التفسير الإباضي الحديث»، حيث ركز في ورقته على تفسيري الشيخ محمد بن يوسف إطفيش «هميان الزاد إلى دار الميعاد»، و«تيسير التفسير»، وقد لاحظ الباحث أن محمد الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» تعرف على التفاسير الإباضية بلقائه مع الشيخ إبراهيم إطفيش في دار الكتب المصرية حيث أعطاه نسخاً من تفسيري الشيخ إطفيش، ومن الواضح أن الذهبي لا يرى الإباضية فرقةً وليس مذهباً، متهماً التفسير الإباضي بميله للتقليد المعتزلي، ويرى أن الذهبي يعطي تحليلاً خاطئاً للإباضية وهو يتهمها بتحيزها ضد المذاهب السُنيّة، لذلك يرى وليد صالح أن ما أورده الذهبي عن التفسير الإباضي هو دراسة للفرق بين السُنّة والإباضية وليس مصدراً للمعلومات عن التفسير الإباضي؛ أما في الجزء الثاني من الورقة فقد حاول وليد صالح أن يلقي ضوءًا على الأسباب التي دفعت الشيخ إطفيش أن يكتب تفسيرين كاملين ويبدأ بكتابة التفسير الثالث الذي تركه قبل أن ينتهي، حيث يرى أن إطفيش أراد البرهنة على قدرة الإباضية على مجاراة السُّنَّة، والوصول إلى نفس المستوى في تفسير كتاب اللّٰه.

**الورقة الثالثة ألقاها فرحات الجعبيري مبيّناً أنه كان يوجد بين إباضية ميزاب تياران: التيار الذي كان يتمسك بالتاريخ، والثاني الذي كان يريد الإصلاح.**

يرى صالح أن «هميان الزاد» قدّم نظرة الإباضية إلى القرآن، أما «تيسير التفسير» فكُتب لإكمال مشروع إطفيش وتأكيد انتقال الإباضية النهائي من مستوى الفرقة إلى مستوى الأمة وإثبات الإباضية كمذهب إسلامي مستقل.

قدّمت الورقة الثالثة في الجلسة أماندا پروپست (Amanda Propst) من جامعة جورج تاون، الولايات المتحدة، وكانت بعنوان: «التعددية الدينية وتطور

الهوية الإباضية في العهد المعاصر»، حيث ترى أن التعددية الإباضية سـهلت تطور التسـامح ضمن المجتمـع الإباضي، وأن خطاب التسـامح المعاصر كان متصلاً بالنهضة، ودرسـت تصورات التسامح الديني الشائعة في عُمان، ومع أن العُمانيين بأنفسهم مسلمون مخلصون لكن النساء العُمانيات لديهن حرية أكبر بالنسبة لنساء بلدان مجلس التعاون الأخرى؛ والبرهان على التسامح الديني هو وجود الكنائس، ومن المبادئ الرئيسـية رفض اسـتخدام القوة لنشر الإسلام، مشيرة إلى أثر خطاب التسـامح العُماني داخل وخارج عُمان. وأن حرية الديانة جزء من الدسـتور العُماني، إذ تحاول الدولة أن تشيع هذه الرؤية المتسامحة للإسلام، وتدعم رغبة الإباضيين أن يعيشوا في انسجام مع المسلمين الآخرين.

## الجلسة السادسة: الرؤية الجديدة إلى الفرد والمجتمع:

قدّمت الورقة الأولـى فيها أمل ساتشـدينا (Amal Sachedina)، من جامعة براون، بروفيدنس، الولايات المتحدة، حيث كانت بعنوان: «أثر التراث في إنتاج الأشكال الجديدة من الأخلاقية، والتاريخ والدين كجزء من بناء الدولة الحديثة في سـلطنة عُمان»، حيث تحدّثت عن النهضة المعاصرة التي حوّلت عُمان من بلد فقير إلى دولة حديثة متصفة بالتقدم والتطور المادي وتوفر البنية الأساسية، مشيرة إلى أن الدولة قد جعلت من التراث العُماني مكوناً بنائياً في تطور الأمة والوطن، وتشجع الوعي التاريخي عن طريق نشر الآثار التراثية كرموز وطنية، فبنيت الإيديولوجيا الوطنية على مجموعة القيـم والمبادئ الغير المادية، كما تشجع رعاية فضائل المواطنة والأخلاق والرؤية المحددة والمعايرة من التاريخ، فالآثار (القلاع والعمارة التقليدية) تسـتخدم كشهادة شامخة للماضي المجيد، فالتمسك بالتراث المشترك يساعد على بناء المجتمع المنسجم، فعُمان تتمسك بتقاليدها وبتراثها مع طلبها للحداثة، وهذا الوعي الوطني التاريخي تم تشكيله بواسطة ثلاث وسائل: المتاحف الوطنية والكتب المدرسية والمنشورات الرسمية.

المداخلة الثانية قدّمتها أمل غزال، من جامعة دالهاوزي، بكندا، وكانت بعنوان: «الردود الفردية على التحديث الغربي»، حيث بدأت كلامها بتحديد مفهوم النهضة، في أربع مراحل:

- النهضة الأدبية قبل القرن التاسع عشر الميلادي.
- النهضة السياسية بين عُمان وزنجبار خلال القرن الـ19 الميلادي.
- النهضة في آخر القرن الـ19 والنصف الأول من القرن الـ20 التي اندمجت مع النهضة العربية والحركات الإصلاحية.
- نهضة السلطان قابوس ابتداءً من سنة 1970م.

أما الورقة الثالثة فقدّمها ستيفان شراينر (Stefan Schreiner) من جامعة توبنغن، ألمانيا، وعنوانها: «التسامح بين الاحتمال والقبول»، حيث أشار إلى كون التسامح مفهوماً معقداً وإلى أن تعريف التسامح للأمم المتحدة الذي يعتمد على حقوق الإنسان والتعددية والديموقراطية وحكم القانون (سنة 1995) يختلف كثيراً عن تعريفاته في دراسات العلوم الدينية؛ وبحث التسامح في سياق التنوير ودراسات العلوم الدينية، وأن كلمة التسامح تستخدم في حق الأقليات التي تشعر بالضغوط والتهميش... إلخ، وتحدّث عن الآيات القرآنية الخاصة بالتسامح (الكافرون، آية 6؛ البقرة، آية 256)، فالقرآن من أول الشواهد التاريخية لدراسة التسامح، كما استشهد بآراء ابن سينا والغزالي التي يمكن توظيفها لبحث التسامح؛ أما أوروبا ففكرة التسامح ظهرت فيها في القرنين الـ15 والـ16م مع اكتشاف القانون الطبيعي وتطبيقه لكل الكائنات وقدّمت في طريقة مبيّنة في كتاب رسالة في التسامح لڤولتير (Voltaire). وختم ورقته بحديثه عن فكرة غوته (Goethe) الذي شدد على أن التسامح كاحتمال الآخر لا بد أن يكون مؤقتاً فقط، لأن الاحتمال يعني الإهانة، أما التسامح الحقيقي فيشجعنا على قبول «الآخرية» «otherness» للآخر وعلى احترامها.

**قدّم الورقة الثالثة ستيفان شراينر وعنوانها: «التسامح بين الاحتمال والقبول»، حيث أشار إلى كون التسامح مفهوماً معقداً وإلى أن تعريف التسامح للأمم المتحدة الذي يعتمد على حقوق الإنسان والتعددية والديموقراطية وحكم القانون (سنة 1995) يختلف كثيراً عن تعريفاته في دراسات العلوم الدينية.**

في الورقة الرابعة تحدّث سليمان الحسيني من جامعة نزوى، بسلطنة عُمان، عن «التسامح والضيافة في تجربة الرحالة الأوروبيين والأمريكان الذين زاروا



عُمان في القرنين الـ 19 والـ 20م»، حيث ركّز في ورقته على ما قصه عن عُمان المبشرون المسيحيون الذين كانت لديهم الامكانيات لبناء العلاقات مع المجتمع العُماني بسبب وجودهم المطول في عُمان، ومن بينهم فيليپس هايغ (Philips Haig) وتوماس ڤالبي فرنتش (Thomas Valpy French)، وجايمس كانتاين (James Cantine)، والطبيب پول هاريسون (Paul Harrison)، والطبيب ويلس توماس (Wells Thomas)، الذين زاروا وعاشوا في عُمان في نهاية القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين كلهم شهدوا على تدين العُمانيين وحسن الضيافة ولطفهم والتسامح للناس من الديانة الأخرى، وقد ختم ورقته مع ملاحظة فاني لاتون (Fanny Lutton) التي اشتغلت في عُمان كممرضة ومبشرة منذ سنة 1911م، وهي تقول أن العُمانيين لم يكونوا ليقبلوا الرسالة المسيحية ولكنهم كانوا متسامحين تجاه المبشرين وكانوا يستضيفونهم ويكرمونهم، هكذا من الواضح أن العُمانيين كانوا يظهرون على قدرتهم للانفتاح وللتبادل والحوار مع الأجانب والناس من الثقافات المختلفة.

## الجلسة السابعة: نظرة جديدة على الفرد والمجتمع.

قدّمت الورقة الأولى في هذه الجلسة ماندانا ليمبرت (Mandana Limbert)، من جامعة مدينة نيويورك، بالولايات المتحدة، وورقتها بعنوان: «العائلة في عُمان وزنجبار»، وركزت فيها على نظام الزواج في زنجبار في بداية القرن العشرين وقارنت هذا الوضع مع الوضع في عُمان في نهاية القرن العشرين وخاصة مسألة المواطنة، مشيرة إلى أن بريطانيا مع إعلانها حمايتها على زنجبار أصبحت أكثر تدخلاً في الأوضاع الداخلية وخاصة في نظام الزواج، فحاولت أن تدخل التسجيل الرسمي للزواج، وكانت تهتم أكثر بمصير المسيحيين الجدد من سكان زنجبار المحليين والهنود البريطانيين؛ حيث استشارت القاضيين السُنّي والإباضي في زنجبار أحمد بن سميط، وعلي المنذري اللذين الأكثر اهتماماً بالكفاءة في الزواج، وزواج النساء من غير ولي، والزواج بين المسلمين والمسيحيين، كما تبدو هذه المسائل مهمة أيضاً في مؤلفات نور الدين السالمي وأبي مُسلم البهلاني؛ ولاحظت ماندانا ليمبرت أن مسألة

الزواج ظهرت مجدداً بشكل جديد في عُمان في الثمانينات من القرن العشرين وخاصة في مسألة تحريم الزواج بين المواطنين العُمانيين والأجانب، في الجزء الثاني من الورقة بحثت ليمبرت في تطور القوانين الخاصة بالزواج والأحوال الشخصية في عُمان؛ وفي الخاتمة لاحظت ليمبرت أنه في الحالتين المعروضتين لم تعاكس القوانين ما كان يحدث واقعاً، وإن حاولت النظم السياسية الأجنبية أو المحلية ترتيب الأمور الاجتماعية، فإن كل محاولة للتشريع تثير ردود الفعل في المجتمع، والرأي العام في عُمان المعاصرة منقسم بين من يعتبرون إباحة الزواج بين العُمانيين والمسلمين من غير نظر إلى أصلهم ضرورياً، والذين يشجعون مواصلة السياسة الثابتة على أساس مبدأ المواطنة.

**قدّمت ماريا دي تولا، ورقة بعنوان «العائلة في شمال إفريقيا»، وهدفها دراسة النساء في تاريخ وادي ميزاب ودورهن، وخاصة في الاستمرار والاستقرار الحضاري، وفي التكافل الاجتماعي ومنع المجتمع عن التجزؤ.**

الورقة الثانية كانت لـ أنا ماريا دي تولا (Anna-Maria di Tolla) من جامعة نابولي، إيطاليا، وعنوانها «العائلة في شمال أفريقيا»، وهدفها دراسة النساء في تاريخ وادي ميزاب ودورهن وخاصة في الاستقرار الحضاري، وفي التكافل الاجتماعي ومنع المجتمع من التجزؤ؛ وهي تشير إلى أن فترة النهضة في ميزاب تزامنت مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، ففقد وادي ميزاب حقه للحكم الذاتي وألحق بالجزائر الفرنسية في سنة 1882م ولكنه حافظ على القضاء المستقل. وخلال القرون العديدة المجتمع الإباضي في ميزاب كان يحافظ على نظامه الاجتماعي والاقتصادي الخاص، والاستقرار الاجتماعي في هذا المجتمع البربري الأصل كان مضموناً بمساعدة بقاء النساء داخل المنطقة، ولم تتزوج النساء الإباضيات خارج ميزاب وكن يبقين فيها ولو هاجر أزواجهن؛ وتلعب النساء دوراً مهماً في الحياة الدينية، فالنساء المتعلمات كن يدرسن النساء الأخريات الممارسة الصحيحة للدين وقراءة القرآن، والنساء الشابات كن يحصلن على مبادئ العلوم الدينية، ويحافظن على اللغة البربرية، وحركة الإصلاح جاءت بفكرة أهمية التعليم للبنات لإعداد الأمهات، وإن كانت هناك بعض الآراء في أن تعليم البنات سيضر الاستقرار الاجتماعي.

في المداخلة الثالثة قدّمت أولغا أندريانوڤا (Olga Andriyanova)، من جامعة باريس الأولى، في فرنسا، وجامعة سان بطرسبرغ، روسيا، ورقة عن «النساء في المجتمع العُماني الإباضي في القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين: الجوانب الثقافية والدينية»، حيث رأت أن المجتمع العُماني تاريخياً مثل أي مجتمع إسلامي تظهر فيه النساء بقلّة في ما نسميه الحيّز العام، ولكن عدم ظهورهن لا يعني عدم نفوذهن في الحياة الاجتماعية؛ ودرست أندريانوڤا مسائل تعليم النساء والدور الديني لهن، وهي ترى أن قدرة المرأة في التصرف داخل مجتمعها ومستوى تمكينها تعتمدان على مستوى تعليمها وعلى مرتبة عائلتها في المجتمع، وفي عُمان في الفترة المشار إليها فإن عدم وجود مدارس البنات لا يعني عدم وجود التعليم، فالنساء من عائلات المتعلمين (الشيوخ والعلماء) كن يتعلّمن على يد أقربائهن من الرجال، والمذهب الإباضي لا ينصب أي حاجز عن تعليم النساء، بل تشير كتب الفقه عكس ذلك إلى أهمية العلم للرجال والنساء سوياً؛ والمصادر التاريخية (مثل كتاب الأمهات الصالحات لعلي بن سالم الحجري) تشير إلى الدور الثقافي والديني الذي كانت النساء المتعلمات يلعبنه في المجتمع عن طريق تعليم النساء الأخريات وتنظيم حلقات قراءة القرآن والإرشاد الديني. فالنساء كن يملكن الكتب ويشترين نسخها، ويراسلن العلماء ويستفتينهم؛ كما عرضت أندريانوڤا دور النساء في المجتمع المحلي من خلال وصايا الأوقاف حيث يبدو الوقف النسائي قديماً ومستمراً في عُمان وزنجبار، وكان يعطي للمرأة شهرة ورؤية على المستوى المحلي على الأقل، فالوصايا تعكس تديّن النساء وزهدهن ورغبتهن في تحسين حياة الحارة، منبهة إلى أهمية مواصلة الدراسات في هذا المجال.

## الجلسة الثامنة: النظرة الجديدة على الفرد والمجتمع

الورقة الأولى لبربارا ميخالك، بيكولسكا (Barbara Michalak –Pikulska)، من جامعة ياغيلونسكي، كراكوف، ببولندا، وهي عن «المظاهر الدينية في شعر أبي مسلم البهلاني»، حيث قدّمت تحليلها للجزء الديني من التراث الشعري الهائل لأبي مُسلم البهلاني، إذ الشعر الديني هو شهادة مهمة لعمق الحياة

الروحية ويعكس الإحساس الديني للشاعر. وبعد تقديم مراحل حياة البهلاني وجهوده وأعماله، انتقلت الباحثة إلى تحليل شعره الديني الذي يعكس العلاقة القريبة من الله التي كان البهلاني يحسها، فبعض قطعه الشعرية تكون في شكل دعاء أو تأمل (الإعجاب بالله والتفكر فيه)، فالله هو مصدر الإلهام وهو محور الاهتمام، والشاعر يعطي نفسه لله ويثق فيه بلا حدود، ويستخدم المجاز جاعلاً لكل بداية نفس الكلمة، كما أن فكرة نور الله تتكرر في الشعر: الله نور الكون ومصدر النور الذي ينير الطريق إلى الله، والشاعر لا ينسى ضعفه هو وظلمه الخارج من طبيعته الناقصة، وهو يبني علاقته مع الله على أساس الحقيقة وصفاء ضميره؛ كما حللت أيضاً بعض القطع الشعرية المكرسة للنبي، وما تحمله من تعبير الشاعر فيها عن الحب والتبجيل تجاهه، خاتمة القول بأن ما يجذبنا في شعر أبي مسلم هو إخلاص الصلاة وجمال أسلوبه الأدبي.

**تحدّثت بيكولسكا عن المظاهر الدينية في شعر أبي مُسلم البهلاني، حيث قدمت الباحثة المتخصصة في الأدب العُماني رؤيتها وتحليلها للجزء الديني من التراث الشعري الهائل لأبي مُسلم البهلاني.**

الورقة الثانية كانت لسليمان الشعيلي، من جامعة السلطان قابوس، حول «تطور الفقه الإباضي في عُمان في القرن العشرين، الإمام السالمي نموذجاً» حيث حلل سليمان الشعيلي أعمال نور الدين السالمي من ناحية أسلوب الكتابة، التي وجد أنها تقع في ثلاثة مستويات للكتابة في فقه العبادات والمعاملات:

**المستوى الإبتدائي:** سهل للقراءة والفهم كما في «تلقين الصبيان».

**المستوى المتوسط:** ولتسهيل التعلم استخدم السالمي الشعر كما في «جوهر النظام».

**المستوى المتقدم:** كما في «معارج الآمال».

وذات التوزيع الثلاثي يقع للأعمال المكتوبة لطلبة العقائد حيث نجد في البداية «غاية المراد في الاعتقاد»، ثم «أنوار العقول» في المتوسط، و«بهجة الأنوار» و«مشارق الأنوار» للمتقدمين؛ كما درس منهج السالمي في شرحه

لمسند الربيع، فالسالمي يضع قراءه في حسبانه عند الكتابة، فيرتب الأحكام جيداً في مؤلفاته متجنباً التكرار، كما يعطي الآراء المختلفة قبل إعطاء رأيه هو، وقد استفاد كثيراً من كتب المذاهب الأخرى وخاصة فيما يتعلق بالمنهج، خاتماً القول بأن السالمي مجدد حقيقي للفِقه الإباضي.

قدّم المداخلة الثالثة محسن الكندي، من جامعة السلطان قابوس، في ورقة كانت بعنوان: «الإصلاح والتنوير وآفاق النهضة الصحافة العُمانية المهاجرة نموذجاً»، حيث تحدّث فيها عن كتابه المنشور حول الصحافة العُمانية في زنجبار، والتواصل بين داخل عُمان والمهاجرين، متطرقاً إلى تاريخ الصحافة العُمانية منذ بداياتها بالنشرات الإخبارية من سنة 1900م، ثم صحيفة «المنهاج»، وتحدّث عن الصحافة في المغرب وعلاقتها مع العلماء العُمانيين، كما تطرق إلى صحيفة «الفلق» في الثلاثينات وما حملته من تكوين الخطاب السياسي العربي، وتحدّث عن صحيفة «النجاح» لأبي مسلم، وما حملته هذه الجهود من رؤية للنهوض ونشوء الترقي، وانشغال دائم بالوطن الأم، وشرح لمؤسسة الإمامة ومؤسسة السلطنة، وما حملته في مضامينها من الخطاب الإباضي، وكيف أن الشعر كان من مضامين للصحافة، إضافة إلى المقالات الدينية والفتاوى، وخلص إلى أن الصحافة المهاجرة كانت متصلة باستمرار مع شخصيات عُمانية ومع الصحافة في المغرب.

## التوصيات والختام

وفي ختام الجلسات تحدّث عدد من المشاركين الذي شددوا على أن مثل هذه الندوات تمكّن التواصل بين الباحثين الدارسين للإباضية وبين الإباضية، وتسمح بانفتاح الإباضية لغير المتخصصين، لتصبح الإباضية جزءًا من هذا السرد الأكبر لما هو الإسلام، كما أعلن منظمو المؤتمر دقيقة الصمت حداداً على الدكتورة آني هيغنز (Annie Higgins) التي توفيت في سبتمبر 2014م بسبب مرض مفاجئ، والتي كانت متخصصة في الشعر العربي، وخاصة في الشعر الخارجي والإباضي، وقد اشتركت في الندوات السابقة وخاصة في نابولي (2012) وكامبريدج (2014).